ندوة الأدب

« علي محمود طه ، الشاعر والانسان »

تأليف : انور المعداوي

* * *

مناقشة الدكتورة سهير القلماوي ، والدكتور عبد القادر القط ، والدكتور شكري عياد

في مثل هذه الايام من العام الماضي ، غاب وجه الناقد الكبير انور المعداوي . وكان قد قدم في حياته كتاب « علي محمود طه ، الشاعر والانسان » لجائزة الدولة ، فنال عليه بعد وفاته جائزة النقد والدراسات الادبية لهذا العام . وقد رأت « الاداب » التي كان المرحوم المعداوي من اول المشاركين في تحريرها ان تكرم ذكراه بتقديم هذه الندوة الهامة التي سجلها ابراهيم الصيرفي حول الكتاب المذكور :

ابراهيم الصيرفي : جرت العادة عند مناقشة مثل هذه الكتب ان نطلب الى المؤلف ان يمهد بين يدي هذه المناقشة بعرض للخطوط العريضة لبحثه . والدكتور عبد القادر القط زميل صديق للمرحوم انور المعداوي، فهل يتفضل بان يقدم لنا موجزا للكتاب ؟

د. عبد القادر القط : عزيز علي ان اقوم مقام الصديق العزيز الراحل في تقديم هذا الكتاب وتلخيصه . ولكن عزائي انه يوجد بيننا بفكره ووجدانه بهذا الكتاب القيم الذي سيظل ، فيما اعتقد ، ذخيرة باقية فيما كتب من نقدنا الحديث بما فيه من جد واحاطة وذوق مرهف، وبصر بالاساليب الشعرية ، وسيطرة على الاسلوب الذي عرف به فقيدنا العزيز . وقد اختار الاستاذ انور المعداوي شاعرا فريدا ممثلا لمرحلة من مراحل التطور الادبي والاجتماعي في حياتنا ، وسلط عليه كل طاقاته الذوقية والثقافية ، فاخرج لنا منه صورة كاملة لما عرف بالحركة الرومانسية في تاريخ الشعر العربي الحديث . وقد بدأ المؤلف فصور عصر الشاعر وربط بينه وبين العصر الذي نشأت فيه الحركة الرومانسية في اوروبا . ووضح كيف كان الشاعر واحدا من جيل يحس بمحافظة المجتمع الذي يعيش فيه ، ويحس افراده بأن طموحهم لا سبيل الى تحقيقه ، وتتوزعهم نوازع مختلفة ، ما بين الرغبة في المحافظة على القيم الاخلاقية والاجتماعية لهذا المجتمع وبين الانطلاق حسبما يقتضيه طموحهم او اهواؤهم ورغباتهم المكبوتة .

لهذا كان الحديث عن تشاؤم علي محمود طه وحزنه والمه شيئا طبيعيا في الفترة الاولى التي كانت تدور حول هذه المعاني من الكبت والحرمان . ولكن الشاعر ما لبث ان تجاوز هذه الفترة من حياته بعد الثلاثين ، حين تطور المجتمع الى حد ما ، فاصبح هناك شيء من الحرية النسبية من ناحية ، ومن ناحية اخرى حين اتيح له أن يرى اجواء غير الجو المحلي الذي عاش فيه . هناك حيث انطلق علي محمود طه على سجيته مع البهجة والمرح والجمال فكان في رأي الاستاذ انور المعداوي انه انما يصدر في هذا عن طبيعته الاصيلة . اما المرحلة الاولى فلم تكن الا شيئا عابرا في حياته ، فرضتها عليه تلك الظروف القاسية التي كان يعيش فيها هو وغيره من الشباب في ذلك الحين .

ثم ينتقل المؤلف الى المرحلة الثانية بعد الثلاثين من عمره، مرحلة الواقعية القومية ، فيتحدث عن الشاعر وكيف ارتبط بقضايا عصره ، بقضية الحرية بوجه عام وبقضية المجتمع العربي بوجه خاص . ويتحدث المؤلف عن العناصر التي كانت تكبت هذه الحرية ، الاقطاع والاستعمار والاستغلال . ثم يعد الاستعمار نقطة الانطلاق التي توجهت اليها هذه المقاومة ، والرغبة في الحرية ، لانها كانت السند الذي يعين القوى الاخرى المحلية على العدوان . وهنا يتحدث المؤلف عن بعض النماذج مما يعده شعرا واقعيا عند علي محمود طه ، وبخاصة عن قصائده في فلسطين قبل النكبة وبعدها . ثم يتحدث ايضا عن بعض القصائد الاخرى التي قالها في بعض الاحداث الكبار في العالم العربي .

كل هذه الدراسة في الواقع تمهيد للدراسة الفنية ، لان ما يسميه الاستاذ انور المعداوي بالاداء النفسي لم يكن شيئا بعيدا عن الفن او منصبا على دراسة النفسية المرضية ، وانما كان يريد بالاداء النفسي هذه القدرة عند الشاعر ، التي يستطيع من خلالها أن يدرك التجربة بعالمه الداخلي وبصورتها الداخلية بعيدة عن الظواهر الخارجية ثم ينقلها الى المتلقي في صورتها النفسية الباطنية أيضا بحيث تتجاوز حواس المتلقي الى نفسه ووجدانه فتستقر فيه .

ومن كل هذه المقدمات يخلص المؤلف الى الدراسة القيمة التي كانت غاية هذا الكتاب . فيتحدث عن استخدام الشاعر للغة او ادراكه للتجربة ورسمه للصورة الشعرية من خلال نماذج يرى فيها اتجاهات خاصة تتحقق فيها كل هذه السمات الفنية . فيختار « الموسيقية العمياء » ويحللها وقصيدة « القمر العاشق » ، ويرى في هذه القصيدة تعبيرا رمزيا . ثم يتحدث عن قصيدة تمثل التجسيم عند الشاعر ، وامتزاج الفكر بالقلب عنده هي قصيدة « الله والشاعر » . وكذلك تحدث عن بعض القصائد الاخرى وحللها ، مثل « راقصة الحانة » و « الحية الخالدة » و « بحيرة كومو » . كل هذا في حس مرهف ، يدرك اسرار اللغة واسرار الفن الشعري ، ويعبر عن كل ذلك باسلوب فريد عرف به المؤلف .

ابراهيم الصيرفي : بعد ان استمعنا الى هذه الخطوط العريضة التي بني عليها ذلك الكتاب « علي محمود طه ، الشاعر والانسان » للمرحوم انور المعداوي ، نستطلع رأي الدكتورة سهير القلماوي .

د. سهير القلماوي : في الحق اني لا اريد ان اكرر انني اشعر فعلا بالاسف الا يكون معنا الاستاذ انور المعداوي ، اذ ان هذه الندوة كانت ستكتسب خصوبة من وجوده معنا ، لانه كان سيتحدث ، اغلب الظن ، بهذا الاسلوب الادبي المشرق العاطفي الذي كتب به الكتاب .

وهو أسلوب كان المستمعون سيستمتعون به ولا شك .

والعجيب في امر علي محمود طه انه ظل شبه منسي ، او ليس موضع دراسة مستفيضة لمدة طويلة ، فكنا لا نحظى الا ببعض الاجزاء المكتوبة عنه في كتب الادب العامة ، وربما بضع مقالات . وفجأة ، في عام ١٩٦٥ ، نجد هذا الكتاب الذي نناقشه اليوم وكتابا آخر للشاعرة نازك الملائكة . واغلب الظن ان الكتابين قد ظهرا في عام ١٩٦٥ نتيجة لذلك المجهود الذي بذل في جمع شعر علي محمود طه ، وبذلك وجدت بين ايدي الدارسين الوثائق التي يعتمدون عليها ، او لفت نظرهم على الاقل اليها . والطريف ان كتاب الاستاذ انور المعداوي وهو مصري يطبع في بغداد ، وان كتاب الشاعرة نازك الملائكة وهي عراقية يطبع في القاهرة . وعلى كل حال ، فان الدراستين تختلفان ، وليس هنا مجال المقارنة بينهما . كل منهما تؤدي وظيفة معينة وديناً كبيرا نحو هذا الشاعر الكبير . اما الكتاب الذي بين ايدينا فهو دراسات مختلفة تدور كلها حول علي محمود طه . ولكنها تلقي أضواء على العصر كله ، لا من خلال المقدمة فحسب ، وانما من خلال بعض فصول الكتاب . ففي هذه المقدمة التي يتحدث فيها المؤلف بايجاز شديد عن عصر الشاعر ، لا يتحدث عن العصر بالمعنى المفهوم عند الادباء والنقاد ، وانما هو يتحدث عن الرومانسية ، يريد ان يبرر او يعلل لماذا وجد هذا التيار نوعا من القبول الشديد عندنا ، ومن التأثير الشديد في شعرائنا . وليست معلومات الاستاذ انور المعداوي في هذا الفصل هي الهامة في الموضوع ، انما احساسه بهذه الرومانسية التي تتجلى في اسلوبه . فاسلوبه هو ايضا رومانسي الى حد بعيد ، خصوصا عندما يتحدث عن الشاعر ، عن الفترة الاولى التي كان غارقا فيها في الوحدة وفي الشعور بالعجز امام تحدي الحياة . ونحن عندما نقرأ الاستاذ انور المعداوي كناقد يكتب عن علي محمود طه ، نحس بنفسية انور المعداوي تظل من بين سطوره وتدلنا على انه ناقد رومانسي هو الاخر . والتحليل النقدي في الكتاب ينبع من نقطة ارتكاز واحدة في نظري . هذه النقطة هي احساس هذا الناقد بان هناك فرقا بين ما هو لفظ ، او مرة اخرى عقل ، او مرة ثالثة قضية فكرية وبين الاداء الفني . هو يفرق هذه التفرقة ويؤكد على التذوق ويجعله الشيء الوحيد والوسيلة الوحيدة التي بها نستطيع ان نحكم على الشعر . ثم يتحدث عن الاداء اللفظي وعن الاداء النفسي فيهمل الاداء اللفظي ويضغط على الاداء النفسي باعتباره الاساس في الشعر . وعندما يتكلم يتحدث كذلك عن رمزية لفظية ورمزية مطبوعة نفسية . وحين يتكلم عن المراقبة الحسية والمراقبة النفسية دائما نحس ان للناقد شبه نظرية ، وهي انه يفرق بين الشكل وبين الاحساس ، او العاطفة التي تتخذ هذه الاشكال رموزا للتعبير عنها ، ويضغط على هذا بشيء فيه اضعاف من شأن الاداء اللفظي او الرمزية اللفظية او المراقبة الحسية التي تصل من خلالها الى المراقبة النفسية .

هناك جزء من الكتاب كان يمكن للكاتب في نظري ان يستغني عنه ، وهو المقارنة بين علي محمود طه وبين شاعرين احدهما فرنسي والاخر انجليزي . المقارنة بين علي طه وبودلير تدل على ان اطلاع الاستاذ المعداوي ليس الا عن طريق الترجمة ربما ، او عن طريق كتيبات معينة. وهو يفضل شاعره على بودلير لسبب لا اراه مقنعا ، هو ان بودلير ضبابي في شعره . على حين ان علي طه في رومانسيته العميقة تلك واضح نستطيع ان نراه ونعرف رأيه مباشرة ، دون التواء أو ضبابية . وكذلك في مقارنته بلورد بيرون نحس مرة اخرى انه يتحمس لشاعره ، فيجعل بيرون في انحداره رجلا لا اخلاق له ويجعل من علي طه رجلا ذا مثل واخلاق ، رغم ما في شعره من تصوير لخروج قليل او كثير عن بعض ما هو متعارف عن الخلق او الطريق التي تعامل بها المرأة خاصة . بالرغم من هذا نراه في كل مرة يخرج من تجربته انسانا له خلق وله ميزان في الحياة ويحس فعلا انه مرتبط الى حد ما بقيمة معينة ، بينما لم يكن بيرون مرتبطا باية قيمة .

بعد هذا يأتي الجزء الجيد من الكتاب ، في نظري ، وهو تقويم هذا الشاعر من خلال القصائد التي نحس بالفعل كيف كان الاستاذ انور المعداوي يشعر بها شعورا ليس مجردا انفعال بالفاظها او باجوائها أو بصورها ، وانما هو انفعال بالشعر ذاته . ويضاف الى قيمة الكتاب ان الاستاذ انور المعداوي عرف علي محمود طه واحس به كانسان ، ومن هنا انعكس كثير جدا من افكاره وارائه في الانسان على تحليلاته النقدية ، وهذا بالطبع امر لا يتوفر لكل ناقد . ومن الصعب ان نثير قضية معينة في هذا الكتاب ، لانه فيما عدا ما اسلفت ، من نقطة ارتكاز هي ضغطه على الناحية النفسية او الناحية الموضوعية أو الناحية التي يسميها المراقبة النفسية ، يصعب جدا ان أجد قضية معينة عالجها المؤلف . الغرض من هذا الكتاب ان يعطينا ، وقد افلح في هذا ايما فلاح ، صورة حية نابضة بالحياة . وحسب الناقد ان يكون قد فعل ذلك في اي موضوع او في اي شاعر من الشعراء في اي عصر .

هذا رأيي عامة في الكتاب ، وارجو ان استمع الى رأي الزملاء .

د. شكري عياد : الكلام عن افتقاد الصديق العزيز الاستاذ انور المعداوي يعيدنا بطبيعة الحال الى ذكرى الايام الاليمة التي مرت عندما اختطفه الموت فجأة بعد قليل من ظهور هذا الكتاب . ولكني سأحاول ان اواجه هذا الموقف الاليم كما لو كان الاستاذ انور المعداوي موجودا اناقشه ويناقشني ، لعل الحوار الذي سيدور بيننا الان يكون فيه شيء من استمرار افكاره . الكتا بكما نبهت الدكتورة سهير القلماوي ، يمكن ان يعتبر نموذجا لنقد رومانسي . والصلة بين الناقد وبين شاعره الذي يدرسه صلة وثيقة تجعل الدراسة في الواقع تفسيرا للشاعر او احساسا به ، ثم محاولة تعبير عن هذا الاحساس اكثر مما هي دراسة متباعدة ، دراسة محايدة عن هذا الشاعر . واعتقد ان الصورة التي جلاها الكتاب لعلي محمود طه تعطي الكثير من نواحي هذه الشخصية ، كما تعطي السمة المميزة لهذا الشاعر من شعوره القوي الحي بمشاهد الجمال حوله ، ومحاولة التعبير عنها بصور يغلب عليها الاحساس بهذه القيمة الجمالية أكثر مما يغلب عليها الدخول في تجربة نفسية فيها شيء من الصراع او فيها شيء من العنف .

هذه هي الصورة التي نخرج بها مفصلة في كثير من جوانبها عندما نقرأ هذا الكتاب . لكن هناك بعض الموضوعات التي ارجو ان تثار الان بصدد مناقشة الكتاب والشاعر الذي كتب عنه . ومن الافكار التي يصدر عنها هذا الكتاب في تقويمه علي طه الانسان والشاعر ، انه مر بمرحلة رومانسية في صدر شبابه ، اعقبتها مرحلة اسماها الاستاذ انور المعداوي مرحة واقعية ، وقد استوقفتني هذه التسمية ، وهذه النظرة . تسمية المرحلة الاخيرة بانها مرحلة واقعية ، ثم تخصيص الواقعية بانها واقعية قومية ، وانا لم افسر هذه التسمية بعد ذلك التقسيم الا بذلك التعاطف بين الاستاذ انور المعداوي وعلي محمود طه . فالبادي ان شعر علي طه القومي في الفترة الاخيرة من حياته لم يكن شعرا واقعيا بالمعنى الذي يجب ان نراعيه عندما نستعمل هذا اللفظ الاصطلاحي . ومقدمة الاستاذ انور المعداوي لهذا الفصل الذي يتكلم فيه عن الواقع الاجتماعي والسياسي اكثر واقعية بلا شك من ادراك الشاعر للواقعية ، وربما يرجع ذلك الى ان ثقافة انور المعداوي الناقد قد تجاوزت مرحلة المعاشرة لعلي طه ، فهو يتحدث عن ان الواقعية ترتكز الى ادراك وفهم للحقيقة الاجتماعية والسياسية التي تعاش في عصر ما ، وفهم موضوعي لهذه الحقائق . ولعل الاستاذ انور المعداوي بعد ان يترك هذه المقدمة ويأخذ في عرض نماذج لعلي طه ، لا نجد في هذه النماذج شيئا من النظرة العلمية او الموضوعية للقضايا القومية . فهو ما يزال يعالجها بأسلوب شوقي مثلا . ومن المصادفات ، وهي مصادفة ذات دلالة لا مجرد شيء نقفز عليه لموافقته لما في اذهاننا ، ان يستشهد الاستاذ انور المعداوي في اخر هذا الفصل ببيت لشوقي على ان علي طه كان مثل شوقي يعبر عن دوره في هذا الشعر القومي ، وهو قول شوقي :

كان شعري الغناء في فرح الشر ق وكان العزاء في أحزانه

وصحيح ان علي محمود طه فيما يبدو لي ، لم يكن قائما بدور اكثر من دور شوقي ، لانه لم يضف الى مسلك الشعراء الذين نسميهم أحيانا بشعراء الكلاسيكية الجديدة ، وحماستهم القومية ، لم يضف

الى ذلك نوعا من الفهـــم العلمي او الموضوعي للظـــروف الاجتماعية والسياسية التي كان يعيش فيها الوطن المصري والقومي بوجه عام . هذا هو المعيـــار في نظري الذي يميز شعـــرا كلاسيكيا او كلاسيكيـــا مصطبغا بالرومانسية . وليس معنى الفهم العلمي او الموضوعي بطبيعة الحال ، اذا كان الكلام على وجه الخصوص عن الشعر هو ان يكـــون مقالات سياسية او تحليلات سياسية ، وانما ان يمتزج هذا الفهـــم العلمي أو الموضوعي أو الواقعي بوجدان الشاعر بحيث لا يكون شعره اخر الامر الا شعرا ، الا انه سيختلف عما رأيناه عند علي محمود طه في هذا العرض .

شيء اخر بالنسبـــة لهاتين المرحلتين وتحـــديدهما بالمرحلة الرومانسية والمرحلة الواقعية ، والاشارة الى ان الربع الاول من القرن العشرين غلبت عليه الرومانسية والربع الثاني منه أخذت الواقعيـــة تغلب عليه . وربما كان هذا تحديدا صعبا ، والواقع ان الاستاذ انـــور المعداوي يتبين جيدا تعاصر الاتجاهات الرومانسية والواقعية عندمـــا يلاحظ أن الشعر في الفترة الاولى ، الفترة الرومانسية ، كان كلاسيكيا، على حين كان النثر رومانسيا . وهو لا يقف كثيرا عند هذه الحقيقـــة على غرابتها ، فالشأن في الشعر ان تغلب عليه الرومانسية ، الا انـــه يشعرنا بشيء كان يمكن ان يزيد وضوحا وهو ان الترجمة كان لهـــا شأن كبير في هذه الحركة الرومانسية ، وقد كان هؤلاء الرومانسيـــون الاول شبانا هاربين من تقاليد شرقية موروثة ، اي انهم كانوا مغتربين أي قاصدين الى الغرب بمزاجهم .

د. عبد القادر القط : في الواقع ان معظم الملاحظات التي سأبديها عن هذا الكتاب سبق ان ناقشت فيها الاستاذ انور المعداوي وطال اختلافنا حولها . وكان رحمه الله دائم التحمس للفكرة التي يعتنقها ، كما هو باد في تحمسه لعلي محمود طه ، حتى في النقط التي تبدو نقط ضعف عنده . وهذه بالطبع سمة الفنان الرومانسي كما تحدث الزميـــلان . واول ملاحظة طال الخلاف فيها بينه وبيني ، حتى كتبت عنها في مجلة « الاداب » هي فكرته عن الرومانتيكية وعن انها قضية سلبية وفـــرار من الحياة الى عوالم سحرية من الماضي ومن الطبيعة ، وشعور بالانهزام امام سيطرة قوى المجتمع المختلفة على الفرد . والحق ان هذه نظرة الى وجه واحد من وجوه الرومانسية ، ليس هو وجهها المهم . لان الادب الرومانسي بوصفه تعبيرا عن مرحلة حاسمة من مراحل المجتمع لا بد ان يكون ثوريا ، شأنه في ذلك شأن أي أدب يعبر عن مرحلة كبيـــرة من مراحل الانتقال الاجتماعي . فالجانب الثوري من الرومانسية يتمثل اولا في هذه الذاتية التي يمكن ان تكون نقطة الضعف في الرومانسية ، ونقطة التطور نحو السلبية ، لكنها ايضا في حقيقتها ركيزة الايجابية في الرومانسية . لان وجود الفرد واحساسه بذاته ، بعد ان كان ضائعا في غمار المجتمعات السابقة ، وبعد ان كانت عواطفه وافكاره لا يمكن ان تكون محل تعبير ادبي وفني ودراسة . هذا الوجود يعد ثورة بالنسبة للمجتمع الانساني الجديد ، ومن ناحية اخرى ، ارتبط هذا التعبير عن الفرد بقيم انسانية جديدة ، اهمها لا شك الشعور بالحرية الانسانيـــة وكرامة الانسان ، والدفاع عن هذه الحرية وهذه الكرامة . وقد بيـــن الاستاذ انور المعداوي هذا الاحساس بالحرية ، ولكنه للاسف نسبـــه الى المرحلة التي سماها بالمرحلة الواقعية التي بدأ الشاعر فيها كما يقول الاستاذ المعداوي يحارب الاستعمار بوصفه ركيزة للاقطـــاع والرأسمالية كما يرى . لكن هذا الشعور بالحرية والدفاع عنهـــا هو الركيزة التي يمكن ان يعد من اجلها الادب الرومانسي ادبا ايجابيا، على الاقل من ناحية مضمونه ، الى جانب الموضوع الذي اشرت اليـــه وهو الفردية ووجود الذات في العصر الحديث ، التي كانت ضائعة في غمار العصور الاخرى . الى جانب هذه القيمة هناك قيم الاحســـاس بالجمال وتذوقه في كل مظاهر الحياة والطبيعة . وهذا الاحساس حين كان يغالى فيه ، كان ينتهي الى نوع من السلبية او التعبير عن الانهزامية، حين كانت الطبيعة تعشق عشقا مرضيا في بعض الاحيان ، بوصفهـــا ملجأ من شرور الحياة والناس ، في احضانها يجد الرومانسي الهدوء والسلام . لكن عشق الجمال لم يكن دائما عند الشاعر الرومانسي بهذه الدرجة التي تصل الى حد الهروب ، وانما كان يمكن أن يعد في كثير من الاحيان نوعا من رفاهية الحس التي تعلو بانسانية الانسان . غيـــر ان الاستاذ انور المعداوي في أول الكتاب يرى أن ثورية الادب الرومانسي ثورة على مضمون الادب الكلاسيكي في آغنى ثورة العاطفة على العقـــل والخيال على الواقع ، والانطلاق الحر على جمود التزمت والوقار » . لكنه يعود في نهاية الفصل فيؤكد حتى سلبية هذه المعاني فيقـــول : « كان ادبنا في الربع الاول من القرن العشرين ادبا رومانسيا سلبيـــا يعبر عن واقع مجتمع مهزوم » . والحق ان مجتمعنا المصري لم يكـــن مجتمعا مهزوما في ذلك الوقت ، رغم كل المظاهر التي يمكن ان توحـــي ببعض الهزيمة كثورة ١٩ وما آلت اليه . فالمجتمع المصري في ذلك الوقت كان مجتمعا متطوراً ايجابيا بكل معاني الايجابية . يكفي مثلا ان حدثت في هذه الفترة معركة تحرير المرأة ، التي أعدها أنا أهم شيء طرأ على المجتمع العربي الحديث ، وغير من وجه الحياة فيه بكل قيمها تماما . ويكفي ان يكون هناك التطور الصناعي الذي بدأ في مصر بانشاء بنـــك مصر عام ١٩٢٠ ، او التطور الفكري الذي بدأ بانشاء الجامعة الاهلية عام ١٩٠٨ ، وغير ذلك من مظاهر التطور العمراني . وقد شاع هنا ان ثورة ١٩ قد فشلت وولدت شعورا باليأس عند المثقفين وغيرهم . وانا أعتقد ان ثورة ١٩ لم تفشل الى هذا الحد وانما حققـــت ما يمكن ان تحققه ثورة بالامكانيات التي كانت لديها امام دولة خرجت من الحـــرب العالمية الاولى من اقوى دول العالم . فان يواجه شعب أعزل هـــذه الامبراطورية بما لديه من أسلحة يسيرة ومن قوة ايمان ودفاع عـــن العقيدة وعن الوطن ، شيء رائع ، والنتائج التي حققتها هذه الثـــورة يمكن ان تعد مكسبا كبيرا اذا وضعت في أطارها التاريخي . عـــلى أي حال ، هذا الحديث عن ثورة ١٩ يمكن ان يكون محل خـــلاف ، وها انا المح الدكتورة سهير القلماوي متهيئة للتعليق على ما قلت ، ولكن اريد ان اقول ، لكي اكمل فكرتي، ان المجتمع المصري كان مجتمعا ايجابيا، وكان من الممكن ان يخرج ادبا أيجابيا ، وانا اعد ان الادب الرومانسي ادبا ايجابيا .

د. سهير القلماوي : أنا لا اعترض على تقويمك لثورة ١٩ ، انمـــا اعترض على اعتراضك على الاستاذ انور المعداوي . لان الاستاذ المعداوي في الواقع كان في كل الكتاب يقع فيما نسميه بالغلط التـــاريخي . فهو انما يتكلم عن نظرته عندما كتب هذا الكتاب ، عندما اخرج هـــذا المقال . الواقع ان الحواجز الوقتية منعدمة عنده من هذا الكتـــاب . متى كان هذا الشعور ؟ حتى في نفس علي محمـــود طه لا يوجد خط يفصل طورين من حياة هذا الشاعر ابدا . فهو بدأ رومانسيا وظـــل رومانسيا . ولكن الاستاذ المعداوي يأتي فيضع خطا فاصلا بين طـــور رومانسي وطور واقعي ويحاول ان ...

د. عبد القادر القط : لقد اختلفت معه ، كما قال الدكتـــور شكري عياد في مطلع الندوة ، حول مسألة الواقعية . وفي رأيي ان حديث الشاعر للقضايا القومية كان تكملة لدور الشاعر الكبير المرموق في ذلك العصر . علي محمود طه حين بدأ يعرف كشاعر كبير بدا يحس انـــه لا بد ان يستكمل صورة الشاعر الكبير مثل شوقي وحافظ .. بـــدأ يرتبط بشعر المناسبات ، لا اقصد شعره في فلسطين لانه ليس شعـــر مناسبات فهو شعر قومي جليل ، بدأ يرتبط بأشعار من المناسبات كالمديح ومناسبات سياسية اخرى اقل اعتبارا ، او من النوع الذي لا ينبغـــي للشعر الحقيقي ان يرتبط به . فيبدو ان المسألة كانت استكمـــالا للصورة . وصحيح اني لا أخليه من الشعر القومي الشريف الغـــاضب لكرامة الوطن العربي . لكن ذلك لم يكن نتيجة تغير للنظرة الكلية عنـــد الشاعر للحياة والتجربة الشعرية ، وانا أعد الانتقال من رومانسية الى واقعية امرا يرجع الى طبيعة ادراك الانسان للتجربة وللحياة نفسهـــا ونفير هذه النظرة بحيث انه يلتفت في تعبيره الـــى جزئيات صغيرة ، وبكلمة الى معنى كلي يتجاوز الظواهر الى المعاني الكامنة وراء هـــذه الظواهر . كل هذا لم يحدث عند علي محمود طه ، كما انه لم يمتنع عن

قول الشعر الرومانسي الاخر بكل حدته وبكل خياله الجامح وكل ولعه بالصور اللفظية التي عرف بها علي محمود طه .

د. سهير القلماوي : لكن الواقعية والرومانسية ليستا موضوعات هي أسلوب معالجة ، فان يتكلم علي محمود طه عن فلسطين لا يعني ذلك ان يكون واقعيا ، فقد اتكلم عن فلسطين في انفعال رومانسي صرف ، وقد فعل ذلك علي محمود طه فظل شعره عن فلسطين رومانسيا تماما . واخطأ الاستاذ انور المعداوي في فهمه للرومانسية والواقعية . ولكن الاسلوب الذي يتكلم به يغطي كل هذا . حتى الفروق الزمنية ، حين يتكلم عن عصر الشاعر . هل كان هذا العصر عبارة عن جماعة يقومون بالترجمة كما يقول الدكتور شكري عياد الان ، وجماعة يتطلعون الى الغرب ؟ فأين الذين كانوا يتكلمون عن التراث ويدرسونه . كان هناك شعراء تراث ، وفي علي محمود طه الشاعر جوانب من اليسير جدا ان تقارن بعمر بن أبي ربيعة ، ولا يمكن أن ينفي احد انه قرأ عمر ابن ابي ربيعة في هذه القصيدة بالذات عندما كتب هذه القصيدة . هو مغفل لاثر الذات لا شك . وتلك نقطة في عصر الشاعر هامة جدا . وهو كذلك يضع خطوطا زمنية حين يتكلم عن ثورة ١٩ ، والشعور بالفشل من هذه الثورة لم يكن وليد سنة ١٩ ، او ٢١ ، او حتى سنة ٣٠ ، انما جاء بعد ان تمخض الوجود السياسي عن ان هذه الثورة بدت كأنما اكلها اصحابها ، بدلا من ان يتركوها تنطلق . هنا بدأ بالفعل هذا الشعور . ولعله جاء بعد خمس عشرة سنة من الثورة . هو اذن يخلط الازمان .

د. عبد القادر القط : في الواقع ان ملاحظات الاستاذ انور المعداوي لا تقف عند حدود التعبير الادبي الاصيل والتذوق المرهف ، بل ان له نظرات يمكن ان تطبق على بعض قضايا الادب المعاصرة ، مثال ذلك حين حديثه عن الرمزية حيث يمكن أن ينطبق على بعض الاتجاهات المعاصرة في الشعر الجديد . يقول : « تلك الرمزية المطبوعة ، الرمزية التي تلف الفكرة العامة او الموضوع العام بوشاحها الرقيق الذي لا يحجب الضوء ، ولا تضيع من ورائه المعالم . وكل رمزية في واقع الامر نقاب يلقى على الوجه الجميل . ولكن هناك وجها يحول النقاب الكثيف بين جماله وبين العيون ، ووجها اخر يكسبه .. الخ « ص ١٤٨ » .

د. سهير القلماوي : تعبير في الحق في غاية الروعة .

د. عبد القادر القط : هذا صحيح ، ولكن الفكرة ايضا هامة بالنسبة للشعر الجديد . نحن نعرف الان ان في الشعر الجديد اتجاها غالبا الى التجديد والى الرمز والى الغموض ، وبخاصة في لبنان ، وحتى بعض شعرائنا هنا بدأوا يتجهون هذا الاتجاه . وصحيح ان هناك غموضا ، كما يقول الاستاذ انور المعداوي ، شفافا ، كما ان هناك في بعض الاحيان ، غموضا يلقي نقابا كثيفا على حد تعبيره ، على الوجه الجميل ، ويوشك الشعر في هذه الحالة ان يكون انما يكتب لعشرين او ثلاثين من اصدقاء الشاعر الذين يتجهون اتجاهه الفكري نفسه . وهذا الاتجاه يوشك في بعض الاحيان ان يكون تغطية لضحالة في الموهبة الشعرية . فكلام الاستاذ انور المعداوي هام حتى بالنسبة للمرحلة التي يمر بها الشعر الان . ونحن بالطبع لا نشجع الوضوح الباهر المباشر في الشعر ، ذلك ان للغموض والضبابية سحرهما ، ولكن ليس الى الحد الذي يضيق دائرة التلقي عندئذ وفي الشعر الى هذا الحد .

د. سهير القلماوي : ومجال تعبيره حين يتناول ما يسميه بمفاتيح القصيدة ، فهذه يأخذها بتطبيق وأسلوب شاعري جدا وفي غاية الجمال .

د. عبد القادر القط : اذكر انه يقول عن الدكتور طه حسين انه التفت الى ناحية رائعة في الشاعر ولكنه لم يحللها ، فوضع المفتاح في قفل الباب لكنه لم يدره ليفتح الباب . هذا تعبير لطيف مهما يكن وجه الحق فيه .

د. سهير القلماوي : هو عارض الدكتور طه حسين مرتين . ولانه متحمس لعلي محمود طه لم يستطع فهم النقد ، لانه حتى عندما يقول عن الشاعر ان كان قد تأثر ببيرون ام لا . هذه مسألة لا تناقش .

د. عبد القادر القط : هذا حكم من الحقيقة .

د. سهير القلماوي : لا .. يمكن ان اناقشه فأقول تأثر بهذا وبكذا . ما ان تقول لا ادري أتأثر ام لا ؟ وتقف عند هذا الحد ..

د. عبد القادر القط : كانت هذه طريقة الدكتور طه حسين نفسه، ان يلف الحكم بطريقة التشكيك . فالدكتور طه عندما يقول لا اعني اذا كان قد تأثر أم لم يتأثر ، انما كان يعني في الغالب انه تأثر .

د. سهير القلماوي : فقط لا يريد ان يثبت لانه لا يريد ان يدخل على مقارنة .

د. عبد القادر القط : بالضبط .

د. سهير القلماوي : هو يعلم أنه متأثر ، لكنه لا يستطيع او لا يريد ان يأتي بالقصائد نفسها ويضعها امامك ويحللها . وهذا ما قال عنه الاستاذ انور المعداوي انه وضع المفتاح ولم يدره .

د. عبد القادر القط : في رأيي أن ما يؤكد فكرتنا عن الواقعية ان اجمل قصائد علي محمود طه هي في رأيي في الفترة الاولى التي يسميها الاستاذ انور المعداوي الفترة الرومانسية . وهو يقول ، كما لخصت الكتاب ، ان علي محمود لم يخلق لهذا الحزن ولا لهذا الاسى ولا لهذا الكبت ، وانما خلق للبهجة والسعادة والانطلاق . والحق اني لا ارى ذلك ، لان الفترة التي طرأت على الشاعر في النصف الثاني من حياته هبطت بشاعريته ، وأن اجمل القصائد في هذه الفترة ما يمت بسبب الى الفترة الاولى ، حين يرتد الى ذلك الشجن الرقيق الذي كنا نجده في « الملاح التائه » . ولعل اقرب هذا الشعر صلة بالفترة الاولى بعض القصائد في « ارواح شاردة » حين يتحدث عن المرآة ، مما يدل حقيقة على ان هذا هو الجانب الاصيل عند علي محمود طه .

د. سهير القلماوي : لقد اشتهر علي طه بديوان « الملاح التائه » ، ولا شك ان هذا الديوان هو عروس شعره ودواوينه ، فهو في الواقع الديوان الذي يضعه في مصاف الشعراء الكبار دفعة واحدة .

د. شكري عياد : اذا كان هناك تطور في شعر علي محمود طه ، فالاستاذ انور المعداوي في الحقيقة كان يتناوله من زاوية الصورة المتكاملة التي كونها عن علي محمود طه ، وفي فترتين من حياته ، وطبيعته الانسانية ، كانسان متذوق للجمال ومستمتع به ومعبر عنه . ثم ابتدأ يطبق التطبيق التفصيلي في القصائد التي تناولها من الديوان . ولكن ربما لو لم تكن هذه الصلة بين الاستاذ انور المعداوي وعلي محمود طه ، او لو ان ناقدا تناول علي طه تناولا متباعدا وموضوعيا لرأى نواحي التطور في شعر علي طه مختلفة كل الاختلاف عن هذا التصور ، في ان يكون الشاعر محروما ومكتفيا ، وان يكون قلقا دائما او عنده قدر دائم من القلق الذي تكون له في فترة الشباب صبغته الملتهبة والذي يهدأ في فترة الكهولة او فترة الكبر النسبي ، فيأخذ صورة موضوعية أو تمثيلية مثلا ، كما نجد في « انشودة الرياح الاربع » التي لعلها من اجود اعمال علي محمود طه الاخيرة . وهي ، كمسرحية شعرية ، تستحق كثيرا من الاهتمام والانتباه . والغريب انه يعالج فيها بشكل تمثيلي كثيرا من الاحساسات او الموضوعات الشعرية التي تناولها في دواوينه الاولى وهو شاب . لكننا نعود فنقرر ان الكاتب لكي يفعل هذا كان ينبغي ان يكون معتنقا لطريقة اخرى في الكتابة او في الدراسة والنقد غير تلك الطريقة التي اتبعها الاستاذ المعداوي . واني لأؤكد مرة اخرى ان اتجاه الاستاذ انور المعداوي كان اتجاها مثمرا وخصبا وممتعا جدا في تناول شعره الحديث او القديم . ذلك لان نظراته في نفس الفترة التي نشط فيها كناقد ، كفكرة الشعر المهموس للدكتور مندور ، اتجاه يربط الشعر ربطا وثيقا باحساس الشاعر وبتلقيه للحياة ، ثم يربط فهم هذا الشعر او تلقيه بمعنى ادق ، بالتذوق الذي يجمعه الناقد من ثقافته ومن معاشرته ايضا لهذا الشعر . ولا شك انها نظرات مخصبة محببة للحركة الشعرية والحركة النقدية المعاصرة . وذلك على الرغم من اننا حين نتناول الموضوع الان انما نتناوله بطرق مختلفة عن الطريقة التي تناوله بها الاستاذ انور المعداوي .

د. سهير القلماوي : للعشرة القديمة للشاعر مزاياها واضرارها . من مزاياها هذا الذي عددناه للاستاذ انور المعداوي من احساسه العميق بكل الموضوعات التي تناولها في تحليله في الكتاب . وهو قد احس هذه القصائد احساس من عاشر الانسان الشاعر وليس اعتباطا ان يكون عنوان الكتاب « الشاعر والانسان » فهو في الواقع قد احس علي محمود طه الانسان عن قرب ، ومن هنا كان فهمه للتجربة النفسية بتفاصيلها . ولسنا نعرف بالطبع الى أي مدى كان معه في تحليلاته لهذه الاشياء وما الذي كانا يتبادلانه معا ، وقد كانا صديقين . والكتاب يدل على هذه الصلة النفسية .

اما الكتاب الاخر في نفس الموضوع ، للشاعرة نازك الملائكة ، والذي لا نستطيع ان نقرر ان احدهما تاثر بالاخر ، لانهما خرجا في وقت واحد تقريبا ، ففيه الميزة التي نفتقدها هنا ، وهي ان الكاتبة لم تكن تعرف الشاعر ، وان كانت شاعرة ، لكنها في الواقع تنظر الى التجارب النفسية التي مر بها علي محمود طه الى حد ما ، نظرة المشاهد عن بعد ، المحلل الدارس ، لا نظرة المنغمس في نفس التجربة ، كما نجد عند الاستاذ انور المعداوي .

د. عبد القادر القط : انصافا للكتاب الذي نناقشه ، من حيث منهجه وعلاقته بكتب اخرى ، نقول ان هذا الكتاب في الحقيقة قد نشر مقالات ، اعيد النظر فيها فيما بعد ، نشر مقالات في « الرسالة » ربما عام ٤٦ او ٤٧ في حياة الشاعر .

- د. سهير القلماوي : نعم ... ومقالة « الاداء النفسي » التي وردت في الكتاب لا تمت الى الموضوع بصلة .

د. عبد القادر القط : هو أضاف اليه وعدل فيه قليلا . يتضح ذلك من رصد التطورات التي حدثت في مجتمعنا بعد ثورة يوليو ، وواضح ان سياقا خاصا وضع للكتاب حتى يتكامل ويوضع ، ربما ، في وضعه التاريخي .

د. سهير القلماوي : من العسير جدا ان نقول انه مقالة من « الرسالة » تلفت النظر .

د. عبد القادر القط : كانت سلسلة مقالات .

د. سهير القلماوي : نعم .. اعرف . سلسلة .. على أي حال ربما افادت السيدة نازك الملائكة من هذه الدراسة ، لكنها لم تقف نفس الوقفة .

د. عبد القادر القط : ربما اتجهت اتجاها فنيا اكثر ...

د. سهير القلماوي : اتجاه علمي دقيق . خاصة انها تتناول الشعر عامة فتحلله قاصدة الى رؤية موضوع معين ، كيف عولج ، ولا تتناول الشعر قصيدة قصيدة ابتغاء تحليل الموقف النفسي للشاعر كما يفعل الاستاذ انور المعداوي .

د. عبد القادر القط : ظواهر مختلفة نخرج منها بقضية واحدة .

د. سهير القلماوي : ووقفاتها عند ناحية التعبير وقفات ممتازة بحق . كتابها جيد جدا وممتاز . لكنه مكمل لهذا الكتاب الذي بين ايدينا . الكتابان لا يستغني احدهما عن الاخر . فمن يريد ان يعرف علي محمود طه لا بد له ان يقرأ الكتابين معا .

د. عبد القادر القط : من الاشياء التي كنت اختلف فيها دائما مع الاستاذ انور المعداوي اعجابه الشديد بقصيدة « الموسيقية العمياء » . فهو حين يحللها يلتمس بالطبع للشاعر معاذير كثيرة . انه يلتفت الى ما فيها من صور رومانسية بحت ، في حين اني اعتقد ان مجرد الضوء هو الشيء الهام عند مثل هذه الموسيقية ، بغض النظر عن شعاع الكوكب الفضي او جيشان البرق بالومض ، او تفتيح الفجر عيون النرجس الغض . غير هام على الاطلاق أن يرتبط الضوء بهذه الصور الرومانسية الحالمة ، المهم هو الضوء ذاته . فهو يقول « ان الشاعر هنا امام عيون تعيش في الظلام ، ثم بعد ذلك اطبقت منها الجفون . وفي هذا المشهد يتركز مصدر الاثارة ، ولا بد للاداء النفسي من ان تتفق الوان الاثارة مع مصدرها الاصيل . عيون مظلمة يجب ان تثير في الخيال الشاعري معاني الضوء في وميض البرق او شعاع القمر ، وجفون مطبقة يجب ان تبعث في الشعور النابض ذكرى التفتح في اكمام النرجس التي تبدو من وراء الحس عيونا فتحها الفجر » . وهذا كلام تبدو فيه المهارة والحس الرومانسي حقيقة ، لكنه لا يدفع الاعتراض بان الشاعر انما انتزع هذه الصور الرومانسية من نفسه اكثر مما انتزعها من الموضوع الذي يتحدث عنه .

د. سهير القلماوي : كان الموضوع هو الشرارة الاولى التي بعثت في نفس الشاعر سلسلة من التخيلات . والظاهر انه كانت لهذه القصيدة مكانة خاصة في نفس علي محمود طه ، والاسلوب المتبع فيها وربما بعض صورها مكررة في شعره . الموسيقية منظر اثار عاطفته ، ومن هنا تبدأ سلسلة من الصور لا ترتبط بالمثير الاول للعواطف ، ثم تبعد . وكما قلت يبدو انه كانت لها في نفسه مكانة خاصة ، ولو حللنا قصائده في استعماله للضوء والظل نجد بالفعل شيئا من التلاقي والتشابه بين استعمالاته للظلال والضوء . كيف يستغل الظل والضوء للتعبير عن الصورة فيما تتغير به من القاء ظل او ضوء في الطبيعة .

د. عبد القادر القط : في قصيدته « القمر العاشق » صورة جميلة جدا . وتعليق الاستاذ انور المعداوي عليها يتمثل فيه احساسه القوي المرهف ، ولغته التي تثير اعجابنا : « شاعر الاداء اللفظي هو من يعني بالموسيقى الخارجية ليجذب سمعك ، وشاعر الاداء النفسي هو من يعني بالموسيقى الداخلية ليجذب شعورك . وهنا مفرق الطريق بين موسيقى تستمد رنينها من اللفظ وحده لتهز منافذ الاذن ، وبين موسيقى تستمد رنينها من النفس لتهز مسارب العاطفة » .

د. سهير القلماوي : كلام جميل .. لكن حين نحلله لا يمكن ان نقول عن شعر لا يبلغ غير آذاننا فقط انه شعر . اذن مثل هذا اللون ليس شعرا اصلا ، وبذلك يستبعد ويخرج عن الموضوع نهائيا .

د. عبد القادر القط : على أي حال ، نحن نحيي ذكرى المرحوم الاستاذ انور المعداوي ونحيي هذا الكتاب القيم ، رغم كل ملاحظاتنا عليه ، ونرجو ان نجتمع مرة اخرى لمناقشة كتابه الاخر الذي لا ادري ماذا تم فيه . قيل انه طبع في بيروت او يطبع فيها الان . واذا طبع هذا الكتاب ، فان الاستاذ انور المعداوي يكون قد ترك وراءه ثلاثة كتب من اهم الكتب في النقد العربي الحديث . وعلى اي حال فالكتابان اللذان طبعا حتى الان فيهما الكفاية ، لكي يكون لنا منهما تراث قيم ، وهما الكتاب الاول « نماذج فنية » وهذا الكتاب عن علي محمود طه .

ابراهيم الصيرفي : في نهاية الندوة احب ان اسأل الاستاذة الدكتورة سهير القلماوي سؤالا : حين تعرضت بالتقويم للقصائد التي عرضها الاستاذ المعداوي في كتابه قلت انه كان يواجهها منفعلا بالقصيدة، ولم ندر نتيجة هذا الانفعال ايجابيا .

د. سهير القلماوي : نتيجته في الواقع لا تجده الا مادحا للقصيدة ومبينا مزايا جمالها ، مسلما بادىء ذي بدء بانها جميلة . ثم يحلل ما فيها من جمال ، والتحليل ممتاز جدا . وهذا الانفعال يعطي خاصية الحكم المطلق على جمالها ، ويعطي من ناحية أخرى اسلوب الاستاذ انور المعداوي الجميل الذي يساعد في ابراز ما للقصيدة من تاثير ، حتى اننا حين نعاود قراءة القصيدة نحس في الواقع بانفعالين متجاورين . وهذا عمل اعتقد انه هام جدا بالنسبة للناقد .

مكتبة عبدالقيوم

زوروا مكتبة عبد القيوم ببورتسودان تجدوا احدث المطبوعات العربية ، وكذلك مجلة الاداب البيروتية ومنشورات دار الاداب .